مناقب الشيخ الصالح الورع الزاهد
عبد اللّه المنوفي
نفع اللّه به وبعلومه

تأليف العالم العلامة الشيخ الهمام
خليل بن إسحاق المالكي
صاحب المختصر
وتلميذ سيدي عبد اللّه المنوفي
رضي اللّه عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الفقير المضطر إلى رحمة ربه خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي :

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، ويليق بكرم وجهه ، لا أحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، فهو الذي لا تصوره الأوهام ، ولا تقدره الأفهام ، ولا تحيط بكنه عظمته الدلائل والأعلام ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه ، سيدِ الأنام وعلى سائر رسل الله الكرام ، والرضى عن جميع أولياء الله ، المصابيح في الظلام ، والله أسأل أن يعيد علي وعلى المسلمين من بركة النبيين والمرسلين والصالحين ، ويوفقنا لسلوك طرائقهم والقيام بعزائم الدين ، وأن يتوفانا مسلمين ، ويحشرنا في زمرة سيد المرسلين ، وأن يعصمنا عن طريقة الملحدين إلى دخول الجنة مع حصول الرضا من رب العالمين .

وبعد فالقصد ذكر شيء من أحوال سيدي الشيخ الصالح العالم العارف بالله شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة عبد الله المنوفي ــ رحمه الله تعالى ــ ونفعني والمسلمين ببركاته ، وإلا فلو قصدنا ذكر الكرامات كلها لاحتيج في ذلك إلى كتب يطول عدها بل يتعذر حصرها ، وكيف يمكن حصر ما صدر من جميع الأولياء [١/ ب] في جميع البلاد والأزمان وقد حكى الشيخ الإمام العالم العارف الصالح ابن أبي المنصور[١] في رسالته عن شيخه الجليل أبي العباس

(١) أبو عبد الله ، الحسين بن علي بن أبي المنصور الأنصاري ، المصري ، المالكي ، صفي الدين ، المتوفى سنة ٦٨٢هـ ، قال الذهبي : تؤثر عنه كرامات وكشف ، وكان الوزير وغيره من الأكابر يمشون =

الحرار[١] ، بحاء مهملة وراء مكررة ، أنه ذهب إلى الشيخ الكبير العارف بالله أبي أحمد الأندلسي[٢] هو وغيره ممن قصد إلى الزيارة فرأى عنده خلقًا عظيمًا ، ونقباء كل نقيب تحت يده جمع كثير ، وإن من جملة ما رأى دارًا فيها أربعمائة شاب كلهم مكاشفين وقالوا لي : من يوم خرجتم من إشبيلية اطّلعنا عليكم وعرفنا كل واحد منكم بأي وصف جاء[٣] .

ولست من ذكر حاله في شيء لكن قصدت ذلك لينتفع الأصحاب به وغيرهم ممن لم ير سيدي الشيخ ؛ ليعلم بعض حاله ويتأدب معه ، وأقول كما قال الشاعر :

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه

= إليه ويتبركون به ، وقفت على كراس لهذا الشيخ في لُقيه الأولياء وفيه عظائم لا تحتمل ، والله الموعد .اهـ ولعلها الرسالة المشهورة ، المنسوبة إليه نشرها مترجمة بتحقيق ديني جريل ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٨٦م .

انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي ، بتحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار نشر الكتاب العربي : ٥١/ ١٠٠ ، ترجمة رقم ٨٣ ، والوافي في الوفيات ، للصفدي ، نشر دار إحياء التراث ، بتحقيق أرناؤط وتركي مصطفى : ١٣/ ١٣ .

(١) أبو العباس الحرار ، نسبة إلى عمل الحرير ، أحمد بن أبي بكر التجيبي ، زاهد مصري توفي سنة١٧ ٦هـ ، نقل الذهبي أنه كان أحد الصالحين المذكورين ، والعباد المشهورين ، وقد انتفع بصحبته جماعة انظر تاريخ الإسلام ، للذهبي : ٩/ ٤٧٩ .

(٢) أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعي الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٢٤هـ أحد مشاهير الأندلس في وقته ممن عرف بالعبادة والصلاح ، أخذ القراءات عن أبي الحسن ابن هذيل ، وابن النعمة ، ورحل إلى المشرق ، فلقي أبا مدين شعيب بن حسين البجائي ، وصحبه وانتفع به .اهـ من الإحاطة ، لابن الخطيب : ١/ ٤٦١ ، و نيل الابتهاج ، للتنبكتي : ١/ ١٧٨ .

(٣) لم أقف على الرسالة المشار إليها عند ترجمة ابن أبي المنصور .

ورتبته على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة ،أما المقدمة ففي إثبات الكرامة وحدِّها وشرطها ، والفرق بينها وبين المعجزة ، وما يحوز أن تبلغ إليه الكرامة ، وأنه لا يلزم من ظهور الكرامة على يدي شخص أفضليته على غير من لم يظهر على يديه .

وحد الولي وما يتعلق بذلك .

وأما الأبواب :

فالباب الأول : في مولده وعمره ومنشأه [٢/ أ] وتربيته ، ومن أخذ عنه .

والباب الثاني : في علومه وفضله .

والباب الثالث : في ورعه وزهده وصبره وحلمه وفقره مع نفقته النفقة الكثيرة الخارجة عن الحصر ورتبت الكلام فيه على خمسة فصول .

والباب الرابع : في ذكر حاله مع الطلبة والأهل وغيرهم .

والباب الخامس : في مكاشفات اتفقت له .

والباب السادس : في طي الأرض وتزويتها له مع عدم تحركه .

والباب السابع : في أنواع بركته على معارفه من أولاده وأهله وأصحابه .

وأما الخاتمة : ففي كرامات حصلت له عند موته وبعده .

*****

أما المقدمة فأقول :

الكرامات جائزة عند أهل السنة ، وأنكرها المعتزلة ، والأستاذ أبو إسحاق منا [١] .

على أن إمام الحرمين [٢] إنما قال في الإرشاد : والأستاذ [٣] يميل إلى قريب منهم .

وممن نقل جوازها إمام المتكلمين القاضي أبو بكر الباقلاني [٤] وإمام الحرمين والغزالي [٥] وأبو القاسم القشيري في رسالته [٦] والرازي ونصير الدين

---

(١) أي من أهل السنة ، و أبو إسحاق هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني ، الشافعي ، الأستاذ ، ركن الدين ، المتوفى سنة ٤١٨ هـ ، فقيه أصولي ، قال الذهبي : أحد المجتهدين في عصره . ونُقل عن أبي القاسم القشيري ـ أحد تلامذته ـ أنه ممن أنكر الكرامة قال الذهبي : وهذه زلة عظيمة . انتهى بتصرف من سير أعلام النبلاء ، للذهبي :١٧/ ٣٥٣ .

(٢) أبو المعالي ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني ، النيسابوري ، ضياء الدين ، شيخ الشافعية ، إمام الحرمين ، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ومن مؤلفاته الإرشاد في أصول الدين المشار إليه في النص .

(٣) أي الإسفراييني المارة ترجمته .

(٤) القاضي أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، البصري ثم البغدادي ، ثقة إمام بارع ، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة ، والخوارج والجهمية والكرامية ، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري ، وربما خالفه في بعض المواطن ، وتؤثر عنه أخبار في قوة الجدل وبيان الحجة . انتهى بتصرف من سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ١٧/ ١٩٣ .

(٥) أبو حامد ، محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، الفقيه ، الشافعي ، حجة الإسلام ، صاحب الإحياء ، المتوفى بطوس سنة ٥٠٥هـ .

(٦) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري ، الخراساني ، النيسابوري ، الشافعي ، الصوفي الزاهد ، صاحب الرسالة القشيرية المتوفى سنة ٤٥٥ هـ .

الطوسي[١] في قواعد العقائد ، والنسفي[٢] والبيضاوي[٣] في طوالعه ومصباحه .

ومن أصحابنا[٤] الشيخ أبو الوليد بن رشد ونص كلامه في أجوبته أن إنكارها والتكذيب بها بدعة وضلالة [٢/ ب] يبثها في الناس أهل الزيغ والتعطيل الذين لا يقرون بالوحي والتنزيل ويجحدون آيات الأنبياء والمرسلين[٥] . انتهى .

والدليل على جوازها وقوعها إذ لو لم تكن جائزة لم تقع ، وقد ثبت وقوعها بالكتاب ، والأحاديث ، والآثار المسندة الخارجة عن الحصر والتعداد ، وآحاده وإن لم تتواتر فالمجموع يفيد القطع بلا إشكال .

---

(١) أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ، نصير الدين البغدادي ، فقيه متكلم طبيب ، رياضي توفي سنة ٦٧٢هـ .

(٢) أبو الفضل ، محمد بن محمد بن محمد النسفي ، الحنفي ، برهان الدين البغدادي ، المفسر ، الأصولي ، المتوفى سنة ٦٨٧هـ .

(٣) أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، ناصر الدين البيضاوي الشيرازي الشافعي ، المفسر المتوفى بتبريز سنة ٦٨٥ هـ . ، من مصنفاته (طوالع الأنوار من مطالع الأنظار) متن أصولي له طبعة قديمة وشروح متعددة ، ومصباح الأنوار في علم الكلام ، وأشهر مصنفاته التفسير المعروف بأنوار التنزيل وأسرار التأويل .

(٤) يعني من المالكية ، وأبو الوليد ، محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد(الجد) ، القرطبي ، القاضي ، شيخ المالكية ، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ ، من تصانيفه "المقدمات الممهدات" ، و "البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه و التعليل" ، وفتاوى جمعها بعض تلامذته .

(٥) انظر نص السؤال وفتوى ابن رشد مسألة رقم (١١٩) في مسائل ابن رشد ، تحقيق محمد الحبيب التجكاني الطبعة الثانية ، دار الجيل – بيروت ودار الآفاق الجديدة – المغرب ، المجلد الأول ، ص٥٠٩ ، وفيه كثير من أدلة المقدمة وبراهينها التي ساقها خليل .

أما الكتاب :

فقصة أهل الكهف ولبثهم فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا كما ذكر الله ﷻ ، وقصة الخضر مع موسى عليه الصلاة والسلام ، وقصة ذي القرنين ، وما أخبر الله به تعالى عن مريم بقوله : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٣٧] ، قال ابن عباس وغيره : كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء[١] .

وقوله في مريم : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ .

[مريم:٢٥]

وقصة آصف بن برخيا[٢] مع سليمان عليه الصلاة والسلام في إحضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ، كما قال الله ﷻ : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠] [٢/ ب] .

واختلف في معنى قوله : ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فقال ابن جبير[٣] وقتادة[٤] : معناه قبل أن يصل إليك من يقع طرفك عليه ، وقال

---

(١) كرامات الأولياء ، للكائي ، ص : ٧٠ .

(٢) قيل : ابن خالة سليمان ، وقيل : رجل من مؤمني الجان يحفظ الاسم الأعظم ، وقيل : رجل من بني إسرائيل من علمائهم وقيل إنه سليمان وهو غريب جدًا .

(٣) أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام التابعي المقرئ الأسدي مولاهم ، الكوفي ، قتله الحجاج ، سنة ٩٥هـ .

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطاب البصري ، التابعي ، الأكمه ، أحد الأعلام ، حافظ ، جماع ، كان قدريًا ، توفي سنة ١١٧هـ .

مجاهد [١] : معناه قبل أن يحتاج إلى التغميض أي مدة ما يمكنك أن تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده [٢] .

وأما السنة :

فما في الصحيحين من حديث جريج الذي كلمه الطفل في المهد[٣] .

وما فيهما من حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار بصخرة[٤] .

---

(١) مجاهد بن جبر العتكي أبو الحجاج المكي التابعي الإمام المفسر ، روى عن ابن عباس ، وعنه أخذ القرآن ، والتفسير ، والفقه ، وعن أبي هريرة ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعدد من الصحابة ، توفي سنة ١٠٣ هـ وقيل ١٠٤ وقيل ١٠٨ .

(٢) انظر تفسير الطبري : ١٩/ ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه أنه ﷺ قال :«**كان رجل في بني إسرائيل يقال له : جُرَيْجٌ يصلي فجاءته أمه فدعته ، فأبى أن يجيبها فقال : أجيبها أو أصلي ، ثم أتته فقالت : اللهم لا تُمِتْهُ حتى تُرِيَهُ وجوه الْمُومِسَاتِ ؛ وكان جريج في صومعته فقالت امرأة لأفتننَّ جُرَيْجًا ؛ فتعرضت له فكلمته فأبى ؛ فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقالت : هو من جريج ؛ فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : الراعي . قالوا نبني صومعتك من ذهب ؟ قال : لا إلا من طين**» . البخاري في صحيحه : ٣/ ١٢٦٩ برقم(٣٢٥٣) ومسلم في صحيحه : ٤/ ١٩٧٨ برقم(٢٥٥٠)

(٤) إشارة إلى الحديث المتفق على صحته المروي عن ابن عمر { أن رسول الله ﷺ قال : «**بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا ، وأنه أتاني يطلب أجره فقلت : اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي إنما لي عندك فرق من أرز فقلت له اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم كان لي أبوان شيخان كبيران ، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة ، فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع ، فكنت لا أسقيهم حتى=**

وما فيهما من قوله ﷺ : «**كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر بن الخطاب**» [١] ، ومحدَّثون بفتح الدال [٢] .

وما في الصحيح من قول عمر : يا سارية الجبل [٣] .

وقول أبي بكر لعائشة : إنما هم أخواك وأختاك [٤] .

= **يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا»** .

البخاري(٣/ ١٢٧٩) برقم (٣٢٧٨) ، ومسلم (٤/ ٢١٠٠) برقم (٢٧٤٣)

(١) البخاري (٣/ ١٣٤٩) برقم : (٣٤٨٦) ، و مسلم (٤/ ١٨٦٤) برقم(٢٣٩٨) .

(٢) المحدث بفتح الدال هو المُلْهَم وهو الذي يُلْقَى في نفسه الشيءُ فيُخْبِرُ به حَدْسًا وفِراسةً وهو نوعٌ يَخُصُّ اللهُ به مَن يشاءُ .

(٣) قوله الصحيح هنا تجوزًا والقصة مشهورة وهي أن عمر بعث سرية عليها صحابي اسمه سارية فما كان بعد بعثه من يوم جمعة وعمر على المنبر فصاح وجعل ينادي : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل (ثلاثا) ؛ ثم قدم رسول الجيش ، فسأله عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين هزمنا ، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مناديا : يا سارية الجبل ثلاثا ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله . قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك . وقد وردت في عدة مصادر باختلاف في الألفاظ وباختلاف في طرق إسنادها كما في الدلائل للبيهقي ، والطبقات للسلمي ، وشرح الأصول للكلكائي وغيرها ، وقد حسن بعض تلك الطرق ابن كثير في البداية والنهاية وابن حجر في الإصابة ، و صحح الألباني الأثر في بحث مطول في السلسلة الصحيحة (١/ ١٠٣) .

(٤) عن عائشة قالت : لما حضرت أبا بكر الوفاة قال : أي بنية إنه ليس أحد أحب إلى غنى منك ولا أعز على فقرًا منك ، وإني قد كنت نحلتك جداد عشرين وسقًا من أرضي التي بالغابة وإنك لو كنت حزتيه كان لك فإذا لم تفعلي فإنما هو للوارث وإنما هما أخواك وأختاك قلت هل هي إلا أم عبد الله ؟=

وفي البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يقول : من عادى لي وليا آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ورجله الذي يمشي بها ، وإن استغاث بي لأغيثنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في نفس المؤمن يكره الموت وأكره إساءته**» [(١)] .

قال العلماء ومعنى قوله : «كنت سمعه . . . إلى [٣/ أ] آخره» أي صار سمعه الله وبصره كذلك .

وما فيه من قضية خبيب [(٢)] ﷺ في قطف العنب الذي وجد في يده يأكله في غير أوان الثمار [(٣)] .

= قال : نعم ؛ وذو بطن ابنة خارجة قد ألقي في نفسي أنها جارية فأحسنوا إليها ؛ فولدت أم كلثوم . أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٧٥٢ ، رقم ١٤٣٨) وعبد الرزاق في مصنفه (٩/ ١٠١ ، رقم ١٦٥٠٧) ، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١٩٥) ، والبيهقي في السنن (٦/ ١٦٩ ، رقم ١١٧٢٨) .

(١)أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤ ، رقم ٦١٣٧) .

(٢) خبيب بن عدي بن عامر الأنصاري ، صحابي جليل شهد أحدًا ، وكان في من بعثه النبي ﷺ ، مع بني لحيان ، فلما صاروا بالرجيع ، غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم ، وقتلوا فيهم ، وأسروا خبيبًا وزيد بن الدثنة { فباعوهما بمكة ، فقتلوهما بمن قتل النبي ﷺ ، من قومهم ، وصلبوهما بالتنعيم .

(٣) قالت بنت الحارث وكان أبوها قتل ببدر مع المشركين : كان خبيب أسيرًا عندنا فو الله إن رأيت اسيرًا قط كان خيرًا من خبيب والله لقد رايته يأكل قطفا من عنب وما بمكة يومئذ من ثمرة وإن هو إلا رزق رزقه الله خبيبًا قالت : فاستعار مني موسى يستحد به للقتل قالت فأعرته إياه ودرج بني لي وأنا غافلة فرأيته مجلسه على صدره قالت ففزعت فزعة عرفها خبيب قالت ففطن بي فقال أتحسبيني أني قاتله ما كنت لأفعله قالت فلما أجمعوا على قتله قال لهم دعوني أصلي ركعتين قالت فصلى ركعتين فقال لولا أن تحسبوا أن بي جزعا لزدت قال فكان خبيب أول من سن الصلاة لمن قتل صبرا ... سنن البيهقي الكبرى :ج٩/ ص١٤٥ ح١٨٢١٣

وما خرجه مسلم من حديث أويس القرني ﷺ وطلب عمر الاستغفار منه[١] .

وما خرجه أيضا في الرجل الذي سمع صوتا في السحاب : اسق حديقة فلان[٢] إلى غير ذلك .

واحتجت المعتزلة بأن الخوارق لو ظهرت على غير الأنبياء لالتبس النبي بالمتنبي ؛ لأن تمييز الأنبياء عن غيرهم إنما هو بسبب ظهور خوارق العادات منهم إذ الأمة تشاركهم في الإنسانية ولوازمها ، فلولا ظهور المعجزة منهم لما تميزوا عن غيرهم ، فلو جاز أن يظهر الخارق للعادة على يد غيرهم لالتبس النبي بالمتنبي .

والجواب :

لا نسلم حصول اللبس ، بل يتميز النبي بالتحدي ودعوى النبوة ، وهذا هو الفرق بين المعجزة والكرامة ، ولأن الولي لا يقطع بالكرامة فجواز أن

---

(١) أخرج مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا (٤/ ١٩٦٨) برقم (٢٥٤٢) : «إن خير التابعين رجل يقال له : أويس وله والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره وكان به بياض فمروه فليتسغفر لكم» .

(٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة : اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك قال : فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له : يا عبد الله ، لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : أني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : أسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثا ، وأرد فيها ثلثه» صحيح مسلم :ج٤/ ص٢٢٨٨ ح٢٩٨٤ .

يكون ذلك مكرًا به ، ولتعلم أن الكرامة الواقعة للولي هي في الحقيقة من معجزات النبي الذي هذا الولي متبع له ؛ لأنها إنما ظهرت بسبب اتباعه وبركته .

*****

فصل

وحد المعجزة : أمر حادث خارق للعادة من فعل ، أو ترك ، مقرون بالتحدي مع عدم العارض .

فقلنا : «حادث» ؛ لأن المعجزة لا تجوز أن تكون صفة قديمة إذ الاختصاص للصفة القديمة ببعض المتحدِّين ، ولو كانت الصفة القديمة معجزة لكان وجود الباري تعالى معجزًا وإنما المعجز فعل من أفعاله [٣/ ب] تعالى تتنزل منزلة قوله لمدعي النبوة صدقت .

وقلنا : «أو ترك» ؛ لأن المعجزة كما تكون إثباتًا بغير المعتاد قد تكون منعًا منه .

وقلنا : «خارق» ؛ لأنه لو كان فعلًا عامًّا يستوي فيه البرُّ والفاجر لم تكن معجزة وقلنا : «مقرونة بالتحدي» ، لئلا يتحدى الكاذب معجزة من مضى حجته ، وليتميز عن الإرهاص ، والكرامات .

قال الجوهري في صحاحه : وتحديت فلانًا إذا باريته في شيء ، ونازعته الغلبة [(١)] .

والإرهاص : إحداث ما هو أمر خارق للعادة يدل على بعثة نبي قبل بعثته .

*****

(١) الصحاح ، للجوهري : ٦/ ٢٣١٠ .

فصل

واختلف مجوزو الكرامات فقال بعضهم : شرط الكرامة صدورها بلا اختيار من الولي وأن الكرامة تفارق المعجزة من هذا الوجه .

قال إمام الحرمين في الإرشاد : وهو غير صحيح ؛ قال : وصار صائر إلى جواز وقوعها اختيارًا ومنع وقوعها على قضية الدعوى ، ورأوا أن الدعوى هي الفرق بينهما وبين المعجزة وهذه الطريقة غير مرضية أيضًا وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز بعد وقوعه كرامة ليمتنع عنده انفلاق البحر وقلب العصا ثعبانا وإحياء الموتى إلى غير ذلك وهذه الطريقة غير سديدة أيضا والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العادات في جملة الكرامات . انتهى باختصار .

وفي رسالة القشيري ما نصه : واعلم [٤/ أ] أن كثيرًا من المقدورات تعلم اليوم قطعًا لأنه لا يجوز أن تظهر كرامة للأولياء لضرورة أو شبه ضرورة كحصول إنسان لا من أبوين ، وقلب جماد بهيمة أو حيوانا وأمثال هذا يكثر [١] انتهى .

*****

(١) الرسالة القشيرية ، باب كرامات الولي ، ص : ٥٦٥ ، ط دار الشعب ١٩٨٩م بتحقيق الشيخ عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف .

فصل

وشرط الكرامة أن يصحب صاحبها الرضا من الله تعالى وإلا فهو ناقص مغرور أو هالك مثبور .

فصل

وظهور الكرامة لا تدل على أفضلية صاحبها وإنما تدل على صدقه وفضله ، وقد تكون لقوة يقين صاحبها ، وإنما الأفضلية بقوة اليقين وكمال المعرفة ، ولهذا قال أستاذ هذه الطريقة أبو القاسم الجنيد[١] ~ تعالى : مشى رجال باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم[٢] .

ولأنهم يقصدون ادخار الكرامة للآخرة كما حكي عن الشيخ الصالح العالم العارف بالله سيدي الشيخ أبي الحسن الزيات[٣] أحد شيوخ سيدي

---

(١) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ، ثم البغدادي ، القواريري ، العلم الصوفي الشهير ، ولد في ثاني عشري المئتين من الهجرة فأخذ الفقه عن أبي ثور ، وسمع من خاله السري السقطي وصحبه ، ومن الحسن بن عرفة ، وصحب أيضا الحارث المحاسبي ، وهو شهير الفضل قليل الرواية توفي سنة ٢٩٧هـ .

طبقات الصوفية ، للسلمي : ١٥٥ ، وحلية الأولياء ، لأبي نعيم : ١٠/ ٢٥٥ ، وتاريخ بغداد ، للخطيب : ٧ / ٢٤١ ، والرسالة القشيرية ، ص : ١٨ ، صفة الصفوة ، لابن الجوزي : ٢ / ٤١٦ ، نقلا عن سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ١٤/ ٦٦ .

(٢) المدخل لابن الحاج : ٤/ ٢٩٤ ، والرسالة القشيرية باب اليقين ، ص : ٣٢١ .

(٣) أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات قال أبو العباس الغبريني المتوفى سنة ٧١٤هـ : حافظ المذهب محصل له متقن مجيد ، قرأ بالأندلس واستوطن بجاية وأقرأ بها وانتفع الناس بعلمه ودينه ، ثم رحل لحاضرة إفريقية وكان يقرأ عليه كتب المذهب كالتهذيب والرسالة والجلاب والتلقين وغيرها إلى أن توفي بها ، يأكل من كد يمينه معرضا عن خطط الفقهاء ، ولو أرادها ما تعذرت عليه . اهـ . وسار على خطاه من ترجم له بعده ، فلم يذكروا له وفاة . على أن ذكر الغبريني له يدل على أن وفاته في=

الشيخ ابن أبي جمرة[١] أنه سار مع أصحابه يوما فعرض لهم احتياج إلى ركوب المعدية ، وكانت عادة الشيخ عدم أخذ شيء من أحد فركب أصحابه وتردد في الرجوع وإذا بالجانبين قد التقيا فرفع طرفه وقال : يا رب إن كانت من الشيطان فابعدها عني ، وإن كانت كرامة فادخرها لي في الآخرة ؛ فعاد البحر كما كان ثم عدّى بلباسه ، وقال : كرامة بسراويل ما هي كثير .

ولهذا قال سيدي الشيخ العارف بالله أبو العباس المرسي[٢] : الطي [٤/ ب] على قسمين طي أصغر ، وطي أكبر ، فالأصغر لعامة هذه الطائفة أن تطوى لهم الأرض مشرقها إلى مغربها في نفس واحد ، والأكبر طي أوصاف النفوس .

وقال سيدي الشيخ تاج الدين ابن عطاء[٣] ~ تعالى وصدق ﷺ ـ قال : طي الأرض لو أفقدك الله تعالى إياه ما نقص ذلك من رتبتك إذ قمت له بالوفاء في العبودية وطي أوصاف النفوس لو لم تقدم عليه به لكنت من

= النصف الأول بعد الأربعين من القرن السابع . انظر : عنوان الدراية للغبريني .

(١) أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة محدث راوية مشهور بالزهد والصلاح ، أثرت عنه كرامات جمعت في كراريس ، أخذ عنه صاحب المدخل ابن الحاج وللمترجم مختصر صحيح البخاري ، طبع بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث ١٤٢٩ وشرحه بهجة النفوس مشهور . توفي سنة ٦٩٩ هـ .

(٢) أبو العباس ، أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري ، المرسي ، نزيل ودفين الأسكندرية ، المتوفى بها سنة ٦٨٦هـ ، تلميذ أبي الحسن الشاذلي ووارث علمه ، ولا يعرف له تآليف وتؤثر عنه أقوال نقل بعضها ابن عطية في تفسيره وغيره ، وقد ترجم له ابن عطاء الله في كتاب سماه لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن .

(٣) قال ابن حجر في الدرر (١/ ٣٢٤) : أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله تاج الدين أبو الفضل الإسكندراني الشاذلي صحب الشيخ أبا العباس المرسي صاحب الشاذلي وصنف مناقبه ومناقب شيخه وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه وهو ممن قام على الشيخ تقي الدين بن تيمية فبالغ في ذلك وكان يتكلم على الناس وله في ذلك تصانيف عديدة ومات في نصف جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ بالمدرسة المنصورية كهلا . اهـ .

المغبونين وحشرت في زمرة الغافلين .

ويدلك على ما ذكرناه من أن الكرامة لا تدل على الأفضلية كثرة الكرامات بعد زمن الصحابة قال الإمام أحمد بن حنبل ~ تعالى : وذلك لأن إيمان الصحابة كان قويا ، فما احتاجوا إلى زيادة تقوى إيمانهم وأيضا فلأن الزمان الأول كثير النور لا يفتقرون لزيادة ولو حصلت لم تظهر لاضمحلالها في شمس النبوة بخلاف ما بعدهم ألا ترى إلى القنديل لا يظهر نوره بين القناديل بخلاف الظلام والنجوم لا يظهر لها ضوء مع الشمس .

و لهذا قال بعض المشايخ في مريم بنت عمران < أنها كانت في بدايتها يتعرف إليها بخرق العادات بغير سبب تقوية لإيمانها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا ، ولما قوي إيمانها ردت إلى التسبب ؛ فقيل لها : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم:٢٥] ولهذا سأل [٥/ أ] موسى ربه مع كمال قوته بقوله : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ .

[القصص:٢٤]

قال علي وغيره : والله ما طلب إلا خبزًا يأكله ؛ فتسبب ونادى باسم الربوبية ؛ لأن الرب من رباك بإحسانه وغذاك بامتنانه .

فإن قلت : فلأي شيء لم يطلب الخليل عليه الصلاة والسلام حين رُمي بالمنجنيق في النار وتعرض له جبريل عليه السلام وقال : ألك حاجة ؟

قال : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى .

قال : سله ؛ قال : حسبي من سؤالي علمه بحالي [١] .

---

(١) لا أصل له في ما رفع للنبي ﷺ ويعد من واهيات التفاسير .

فالجواب أن الأنبياء يعاملون كل مقام بما يفهمون عن الله تعالى أنه اللائق به ، ففهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن مراد الحق في ذلك المقام عدم إظهار الطلب والاكتفاء بالعلم ، فكان كما فهمه ؛ لأن الحق أراد أن يظهر سر قوله : ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] في جواب قولهم : ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] .

قال سيدي الشيخ الكبير الجليل العارف بالله أبو الحسن الشاذلي[١] : فكأنه يقول : يا من قال : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كيف رأيتم إبراهيم خليلي ؟

والخليل إنما سمي خليلا ؛ لأنه تخلل سره محبة الله تعالى وعظمته فلم يبق لغيره متسع لغيره ، كما قال :

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلًا

[٥/ ب] فإذا ما نطقت كنت ... وإذا ما صمت كنت الخليلا

واعلم أن الولي إنما تصدر منه الكرامة على طريق الاتفاق من غير قصد أو تكون لمصلحة وإلا فأنه يجب عليه ستر الكرامة وإخفاءها نص على ذلك القشيري[٢] وغيره .

والمصلحة كما حُكي عن بعضهم أنه كان ركب في مركب موسق بالقمح

---

(١) أبو الحسن ، علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الشاذلي نسبة لقرية بتونس ، نزيل الأسكندرية والمتوفى بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ ، وإليه تنسب طريقة الشاذلية في التصوف ، ولا تعرف له تصانيف إنما هي أحزاب وأوراد وأقوال ، تنوقلت عنه ، ترجم له ابن عطاء الله السكندري في لطائف المنن المشار إليه آنفا .

(٢) الرسالة القشيرية ، باب كرامات الولي .

وفيه ركاب ؛ فهاج البحر وسمع الملاحين يقولون : نرمي من الركاب ؛ لكونهم غير معدودين عليهم والقمح مكيل ؛ فقال لهم : ارموا من القمح على ذمتي .

فلما وصلوا طالبوه بثمن ما رمي ؛ فقال لهم : كيلوا قمحكم وأنا أدفع لكم النقص فكالوه فوفى وزاد .

قال : والله ما فعلت إلا لحفظ الناس .

وكما حكي عن بعضهم أن بعض الملوك الكفار قال لبعض المشايخ : إما إن أظهرت لي آية وإلا قتلت الفقراء .فأراه بعر جمال بقربه ذهبًا ورمى بكوز في الهواء فامتلأ ماء ، وتنكست رأس الكوز إلى الأرض ولم ينزل من الكوز قطرة فتحير الملك لذلك فقال له جلساء السوء : هذا سحر .

فقال للشيخ أرني آية أخرى فأمر الفقراء فأوقدوا نارًا عظيمة ثم أمرهم بالسماع فلما زاد فيهم الوجد دخل هو فيها وخطف ابن الملك فأدخله معه ثم غاب ساعة ؛ فافتجع الملك على ولده ، ثم ظهر وفي إحدى يدي ولد الملك تفاحة وفي الأخرى رمانة ، فقال له الملك : أين كنت ؟

قال : كنت في بستان وأخذت [٦/ أ] منه هاتين الحبتين .

فقالوا له : أيضا هذا من السحر .

فقال له الملك : لا أصدق حتى تشرب ما في هذه الكأس كأسا مملوءا سما ، فأمر بالسماع ، فلما دارت فيهم نشوة الحال دخل السماع ، فشربه ، فتمزقت الثياب التي عليه ، فألقوا عليه غيرها ، فتمزقت ثم ألقوا عليه غيرها ، فتمزقت ولم يزالوا إلى أن ثبت الثياب عليه ولم يصبه أكثر من أن ترشح عرقا كثيرًا .

وكما حكي عن السيد الجليل أبي العباس المرسي خليفة سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمهما الله تعالى أنه أضيف وقدم إليه طعاما غير طيب يمتحنه صاحب البيت بذلك فقال أبو العباس : إن كان على يد الحارث بن أسد المحاسبي[١] عرق يضرب عليه إذا لم يكن الطعام طيبًا فعلى يدي ستون عرقًا فاستغفر صاحب الطعام .

وكما حكى لي بعض تلامذة سيدي الشيخ الكبير الصالح عبد الهادي[٢] قال : لما ظهر الشيخ واشتهر فقيل لمن له الأمر هذا يزيلك عن مكانك فأمر أن يصنعوا ثمانين قصعة وجعل في أربعين منها سمًا وقال : إن كان الشيخ صالحًا فهو يعلم وإلا فنستريح منه ؛ ثم دُعي الشيخُ ومن معه ، وقدم لهم الطعام فعزل الشيخ ما فيه السم وقال : خذوا أنتم هذا .

ولتعلم أن الكرامة قد تكون بقلب العين ، وطي الأرض ، وكلام الجماد ، وبرء العلل ، ونبع الماء ، والاطلاع على الضمائر ، وجفاف [٦/ ب] البحر ، وكلام الموتى .

ففي رسالة الشيخ أبي القاسم القشيري ~ تعالى بإسناده أن أبا عبيد البسري[٣] ﷺ غزا سنة فخرج في السرية فمات المهر وهو في البرية فقال : يا رب أعرني إياه إلى أن يسير يعني قريته ؛ فإذا المهر قائم فلما غزا ورجع قال

---

(١) أبو عبد الله ، الحارث بن أسد المحاسبي ، البغدادي ، صوفي زاهد متكلم له تصانيف عاصر الإمام أحمد وكان بينهما شيء توفي سنة ٢٤٣هـ .

(٢) لعله أبا الفتح عبد الهادي بن عبد الكريم القيسي ، المقرئ المعمر ، خطيب جامع المقياس والمتوفى سنة ٦٧١ هـ ، وقد قيل عنه : إنه كان صالحا كثير التلاوة .

(٣) أبو عبيد محمد بن حسان البسري ، زاهد صوفي عابد تؤثر عنه كرامات توفي سنة ٣٦٩هـ .

لابنه : خذ السرج عن المهر ؛ فقال : إنه قد عرق .

فقال : إنه عارية فلما أخذ السرج وقع ميتًا [١] .

ففي هذه إحياء الموتى .

وروي في الرسالة أيضًا عن الشيخ أبي سعيد الخراز[٢] قال : كنت مجاورًا بمكة حرسها الله تعالى فجزت يوما بباب بني شيبة فرأيت شابًا حسن الوجه ميتًا فنظرت له فنظر إلى وجهي وتبسم ، وقال : أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار [٣]

ففي هذه كلام الموتى .

وفي الرسالة أيضًا عن بعضهم قال : كنا في مركب فمات رجل معنا فأخذنا في جهازه ، وقصدنا أن نلقيه في البحر فصار البحر جافًا ونزلت السفينة فخرجنا وحفرنا له قبرًا ودفناه ؛ فلما فرغنا جاء الماء وارتفع واستوى المركب وسرنا[٤] .

ففي هذه جفاف البحر والحكايات كثيرة فلنقتصر على هذه .

*****

(١) أبو الحسن ، علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الشاذلي نسبة لقرية بتونس ، نزيل الأسكندرية والمتوفى بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ ، وإليه تنسب طريقة الشاذلية في التصوف ، ولا تعرف له تصانيف إنما هي أحزاب وأوراد وأقوال ، تنوقلت عنه ، ترجم له ابن عطاء الله السكندري في لطائف المنن المشار إليه آنفا .

(٢) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز نسبة لعمل الخرز ، البغدادي ، الصوفي المتوفى سنة ٢٧٧هـ ، وقيل ٢٨٦هـ .

(٣) الرسالة القشيرية باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا ، ص : ٥٠٨ .

(٤) الرسالة القشيرية ، باب كرامات الولي ، ص : ٥٨٨ .

فصل

والولي : فعيل بمعنى مفعول ، كقتيل وجريح ؛ لأن الله تعالى تولاه ؛ قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] .

قلت : فهل يكون [٧/ أ] الولي معصوما ؟

قيل : أما وجوبًا كما في الأنبياء فلا ؛ وأما أن يكون محفوظًا فممكن .

فإن قيل : فهل يجوز أن يعلم الولي ولايته ؟

قيل : منعه الإمام أبو بكر بن فورك [١] لأن ذلك تسلية الخوف ويوجب له الأمن ، وأجازه أبو علي وغيره ، واختاره أبو القاسم القشيري ، وقال : هو الذي نؤثره ونقول به وليس ذلك واجبًا في جميع الأولياء حتى يكون كل ولي يعلم أنه وليًا ولكن يجوز أن يعلم ذلك بعضهم .

ولهذا قال بعضهم : يجوز أن يبلغ الولي إلى حد يسقط عنه الخوف ، ولكن الغالب خلافه ، وهذا سري السقطي [٢] يقول : لو أن واحدًا دخل بستانًا فيه أشجار كثيرة على كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح : السلام عليك يا ولي الله ؛ فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكورًا به [٣] .

فإن قلت : فهل يجوز أن يكون وليا في الحال ثم تتغير حالته ؟

قيل فيه خلاف مبني على خلاف ، وذلك أنه اختلف هل يشترط في الولاية

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَك الأنصاري ، الأصبهاني ، الشافعي ، الأشعري ، المتكلم ، المتوفى سنة ٤٠٦هـ .

(٢) أبو الحسن ، السري بن المغلس السقطي ، البغدادي ، الصوفي الزاهد ، المتوفى سنة ٢٥٣هـ .

(٣) الرسالة القشيرية ، باب كرامات الأولياء ،ص ٥٦٣ ، وما بعدها .

حسن الموافاة أم لا ؛ فمن شرط ذلك لم يجزه ، ومن لم يشترط أجازه .

والغالب على الولي في أوان صحوه صدقه في أداء حقوقه لله تعالى والشفقة على الخلق في جميع أحوالهم ، ودوام تحمله عنهم خلقه ، وابتداره بطلب الإحسان من الله إليهم من غير التماس منهم ، وترك الطمع بكل وجه فيهم ، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم ، ودوام حزنه وغير ذلك [٧/ ب] مما هو معروف عند أهله نفعنا الله بهم ولا حرمنا بركتهم يا رب العالمين .

*****